

يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الثَّائِرُ الْحُسَيْنِيُّ الْوَفِيُّ... الْمُخْتَارُ الثَّقَفِيُّ

الْحَلَقَةُ الْخَامِسَةُ بَعْدَ الْعَاشِرَةِ ٢٠١٥/٨/٣١ م

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا..

إِذَا كَانَ لَنَا قِصَّةٌ فِي الْحَيَاةِ فَصَّتْنَا الْحُسَيْنِ.. لِسَبَبٍ بَسِيطٍ وَوَاضِحٍ جِدًّا عَلَى الْأَقْلِّ عِنْدَنَا.. الْحُسَيْنُ الْحَقِيقَةُ
الْوَحِيدَةُ فِي حَيَاتِنَا وَالْبَاقِي كُلُّهُ سَرَابٌ.. حَاءِ سَيْنِ يَاءِ نُونٍ مَثْنُ الْمُتُونِ.. وَكُلُّنَا نَحْنُ وَمَا حَوْلَنَا.. وَمَا عِنْدَنَا
وَعِنْدَ غَيْرِنَا.. مِنْ حَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ.. فِي حَوَاشِي الْحَوَاشِي..

.. يَا حُسَيْنُ ..

لا زال الحديث يتتابع في أجواءِ قانونِ المكرِ ومَرَّ الحديثُ في الحلقاتِ المتقدِّمة عن المكرِ الإبليسي وعن
المكرِ الرحماني، وفي الحلقةِ السابقةِ ذكرتُ عشرينَ عنواناً، عشرينَ موقفاً ومُعطىً من المعطياتِ اقتطفْتُها من
سيرةِ المعصومين صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين هي تطبيقاتٌ ومصاديقٌ لقانونِ المكرِ، والمُرَاد من قانونِ
المكرِ هو المكرِ الرحماني في مواجهةِ المكرِ الإبليسي، في هذهِ الحلقةِ سأستمرُّ بذكرِ معطياتٍ أخرى كي تتضحَ
الصورةُ أكثرَ وأكثرَ.

من هذهِ المعطياتِ أقرأُ هذهِ الروايةَ عليكم وستكتشفونَ هذا المعطى، الروايةُ أقرأها من كتابِ التهذيبِ
أحدُ الأصولِ أو الجامعِ الحديثيةِ الرئيسةِ عندَ شيعةِ أهلِ البيتِ، كتابُ تهذيبِ الأحكامِ للشيخِ الطوسي الجزء
الثاني في الصفحةِ ٢٧٠، نشر دارِ صدوق: (عَنْ سَالِمِ أَبِي خَدِيجَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

سَأَلَ إِنْسَانٌ وَأَنَا حَاضِرٌ - أحدهم يسأل الإمام الصادق، يروي لنا سالم أبو خديجة هذه الرواية، فهذا السائل الذي يسأل الإمام الصادق يقول: رُبَّمَا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَبَعْضُ أَصْحَابِنَا يُصَلِّي الْعَصْرَ وَبَعْضُهُمْ يُصَلِّي الظُّهْرَ - يعني هناك اختلافٌ فيما بينهم في أوقاتِ الصلوات - رُبَّمَا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَبَعْضُ أَصْحَابِنَا يُصَلِّي الْعَصْرَ وَبَعْضُهُمْ يُصَلِّي الظُّهْرَ - يعني هناك مجموعة حلَّ عندها وقتُ صلاةِ الظهر والعصر بحيث صلّوا الظهر وهم الآن يصلّون العصر وهناك مجموعة أيضاً من الشيعة الآن يصلّون صلاة الظهر لأنّ الوقت حلَّ عندهم متأخراً وهم في نفس المسجد - فَقَالَ: - إمامنا الصادق - أَنَا أَمَرْتُهُمْ بِهَذَا - يعني أنا الذي فرقتُ في أوقاتِ الصلاة فيما بينهم - أَنَا أَمَرْتُهُمْ بِهَذَا لَوْ صَلَّوْا عَلَيَّ وَقَتٍ وَاحِدٍ لَعَرَفُوا فَأُخِذَ بِرِقَابِهِمْ - يُقْتَلُونَ، السُّلْطَةُ تُطَارِدُهُمْ، فَحِينَ يُرَى اتِّفَاقُهُمْ وَيُرَى أَنَّهُمْ عَلَيَّ قَلْبٍ وَاحِدٍ وَيُصَلُّونَ عَلَيَّ وَقَتٍ وَاحِدٍ سَتَكُونُ الْمِرَاقِبَةُ أَشَدَّ وَأَشَدَّ وَسَيَزِدَادُ هَاجِسُ السُّلْطَةِ بِأَجْهَالِهِمْ فَيُقْتَلُونَ، فَيُؤْخَذُونَ بِرِقَابِهِمْ - أَنَا أَمَرْتُهُمْ بِهَذَا لَوْ صَلَّوْا عَلَيَّ وَقَتٍ وَاحِدٍ لَعَرَفُوا فَأُخِذَ بِرِقَابِهِمْ) هذا في تهذيب الإحكام للشيخ الطوسي.

في علل الشرائع للشيخ الصدوق رحمة الله عليه الرواية عن مُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرٍ وَحَرِيْزٍ وَحَرِيْزٍ فِي قِرَاءَةِ ثَانِيَةِ: (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرٍ وَحَرِيْزٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ، قُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ إِخْتِلَافِ أَصْحَابِنَا - بِشَكْلِ عَامِ إِخْتِلَافٍ فِي صَلَاتِهِمْ، إِخْتِلَافٍ فِي أُمُورٍ أُخْرَى - إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ إِخْتِلَافِ أَصْحَابِنَا، قَالَ: ذَلِكَ مِنْ قِبَلِي - قَطْعاً هَذِهِ الْحَالَةَ لَيْسَتْ عَلَيَّ طَوْلَ الْخَطِّ لَكِنْ فِي مَقْطَعِ زَمَانِي، فِي مَقْطَعِ مَكَانِي لِمَجْمُوعَةٍ مُعَيَّنَةٍ، إِذَا كَانَ الْمَكَانُ آمِناً وَالزَّمَانُ لَهُ خُصُوصِيَّاتُهُ قَطْعاً لَا يَقَعُ مِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ، هَذَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَكْرِ وَنَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِحْتِرَازِ - قُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ إِخْتِلَافِ أَصْحَابِنَا، قَالَ: ذَلِكَ مِنْ قِبَلِي، وَسُئِلَ عَنِ إِخْتِلَافِ أَصْحَابِنَا - مَنْ؟ إِمَامُنَا الْكَاطِمُ - فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَا فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكُمْ لَوْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَيَّ أَمْرٍ وَاحِدٍ لِأُخِذَ بِرِقَابِكُمْ) - فَحِينَ تَرَكَمُ السُّلْطَةُ الْعِبَاسِيَّةَ مُخْتَلِفِينَ حَتَّى فِي الْمَسَائِلِ الْبَسِيْطَةِ فَإِنَّهَا لَا تَعْبَأُ بِكُمْ وَتَعْتَبِرْكُمْ تَتَصَرَّفُونَ مِنْ دُونِ أَنْ تَعُودُوا لِقَائِكُمْ، لِإِمَامِكُمْ، يَرُونَكُمْ مُتَخَبِّطِينَ ضَعْفَاءَ، هَذَا فِي عِلَلِ الشَّرَائِعِ لِشَيْخِنَا الصَّدُوقِ.

في الكافي الشريف: (عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَعْيُنٍ أَوْ أَعْيُنٍ - فِي قِرَاءَةِ مِنَ الْقِرَاءَاتِ - عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَعْيُنٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَنِي - زُرَّارَةَ يَسْأَلُ الْإِمَامَ الْبَاقِرَ - سَأَلْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَنِي ثُمَّ جَاءَهُ رَجُلٌ فَجَاءَهُ بِخِلَافٍ مَا أَجَابَنِي وَأَجَابَ صَاحِبِي - فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ - فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ قُلْتُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ: رَجُلَانِ مِنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنْ شِيعَتِكُمْ قَدِمَا يَسْأَلَانِ فَأَجَبْتَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِغَيْرِ مَا أَجَبْتَ صَاحِبَهُ؟! فَقَالَ: يَا زُرَّارَةَ إِنَّ هَذَا خَيْرٌ لَنَا وَأَبْقَى لَنَا وَلَكُمْ وَلَوْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَيَّ أَمْرٍ وَاحِدٍ لَصَدَقْتُمْ النَّاسَ عَلَيْنَا - لَصَدَقْتُمْ النَّاسَ عَلَيْنَا؛ السُّلْطَةُ تَرَاقِبُهُمْ مَرَاقِبَةً شَدِيدَةً، فَحِينَمَا يَرُونَ اتِّفَاقًا فِي الْقَوْلِ وَفِي الْفِعْلِ سَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى هَلَاكِ الْمَنْظُومَةِ الشَّيْعِيَّةِ - إِنَّ هَذَا خَيْرٌ لَنَا وَأَبْقَى لَنَا وَلَكُمْ وَلَوْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَيَّ أَمْرٍ وَاحِدٍ لَصَدَقْتُمْ النَّاسَ عَلَيْنَا وَلَكَانَ أَقْلٌ لِبَقَائِنَا وَبَقَائِكُمْ - زُرَّارَةَ يَقُولُ - ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ - لِلْإِمَامِ الصَّادِقِ، الْكَلَامُ السَّابِقُ كَانَ مَا بَيْنَ زُرَّارَةَ وَالْإِمَامِ الْبَاقِرِ - قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: شِيعَتُكُمْ لَوْ حَمَلْتُمُوهُمْ عَلَيَّ الْأَسِنَّةَ أَوْ عَلَيَّ النَّارَ - الْأَسِنَّةُ يَعْنِي الرِّمَاحَ، جَمَعَ لِسَانًا - شِيعَتُكُمْ لَوْ حَمَلْتُمُوهُمْ عَلَيَّ الْأَسِنَّةَ أَوْ عَلَيَّ النَّارَ لَمَضُوا وَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ عِنْدِكُمْ مُخْتَلِفِينَ، قَالَ: فَأَجَابَنِي بِمِثْلِ جَوَابِ أَبِيهِ - نَفْسُ الْكَلَامِ السَّابِقِ - إِنَّ هَذَا خَيْرٌ لَنَا وَأَبْقَى لَنَا وَلَكُمْ).

(عَنْ نَصْرِ الْقَشْعَمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: مَنْ عَرَفَ أَنَّا لَا نَقُولُ إِلَّا حَقًّا فَلْيَكْتَفِ بِمَا يَعْلَمُ مِنَّا فَإِنْ سَمِعَ مِنَّا خِلَافَ مَا يَعْلَمُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ دِفَاعٌ مِنَّا عَنْهُ - وَهَذَا الْكَلَامُ يَنْطَبِقُ عَلَى شَخْصِيَّاتٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ وَالْأُمَّةُ لَعْنُهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، ذَمُّهُمْ ذَمًّا شَدِيدًا تَبَرَّأُوا مِنْهُمْ، فَمَاذَا يَقُولُ الْإِمَامُ؟ - مَنْ عَرَفَ أَنَّا لَا نَقُولُ إِلَّا حَقًّا فَلْيَكْتَفِ بِمَا يَعْلَمُ مِنَّا فَإِنْ سَمِعَ مِنَّا خِلَافَ مَا يَعْلَمُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ دِفَاعٌ مِنَّا عَنْهُ).

وهناك قضيةٌ بالغة الأهمية، حديثُ أهل البيت وسيرةُ أهل البيت كما هو القرآن، القرآن فيه مُحْكَمٌ ومُتَشَابِهٌ، في حديثهم وفي سيرتهم، في أقوالهم وفي أفعالهم مُحْكَمٌ ومُتَشَابِهٌ، القرآن فيه نَاسِخٌ ومنسوخٌ، سيرةُ أهل البيت فيها نَاسِخٌ ومنسوخٌ.

(عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرُؤُونَ عَنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَا يُتَّهَمُونَ بِالْكَذِبِ - يعني هناك أشخاص ينقلون الحديث عن النبي لا يُتَّهَمُونَ بِالْكَذِبِ - فَيَجِيءُ مِنْكُمْ خِلَافُهُ - خلاف هؤلاء الأشخاص الثقات - قَالَ: إِنَّ الْحَدِيثَ يُنْسَخُ كَمَا يُنْسَخُ الْقُرْآنُ - وبعبارةٍ أخرى إِنَّ مرحلة التَّأْوِيلِ نَسَخَتْ مرحلة التَّنْزِيلِ، تلك الأحاديث التي رواها فلانٌ وفلان من مرحلة التَّنْزِيلِ، والأئمةُ يتحدَّثُونَ في مرحلة التَّأْوِيلِ، والتَّأْوِيلُ تدرِجِيٌّ وليبَّان التَّأْوِيلُ التدرِجِيَّ لِأَبَدٍ من تفعيل قانونِ المكر، لِأَبَدٍ من تفعيل قانونِ المكر الرَّحْمَانِي، أَوْلًا لدفعِ ضررِ الظالمين ومداراةِ شيعتهم وتعليمهم وتلقينهم واللفظِ بهم، أعتقد أَنَّ المضامين واضحة ولا أجدُ وقتاً طويلاً للوقوفِ لشرحها وبيان تفاصيلها، لكن كُُلُّ هذه المطالب تتعاقد في نفس الاتجاه، نفسُ الحكمة التي تظهرُ من المعطيات السابقة في الحلقة الماضية، نفسُ الحكمة، نفسُ الغاية، نفسُ الهدف، هي تتجلى في هذه المعطيات أيضاً.

روايةٌ عن إمامنا الحسن العسكري صلواتُ الله وسلامه عليه يرويها صاحبُ البحار عن الخرائج والجرائح للمُحدث الكَراجكي: (عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ حَلِيِّ قَالَ: اجْتَمَعْنَا بِالْعَسْكَرِ - والعسكر هو إسمٌ لسامراء وإسمٌ بالتحديد للحَيِّ الرسمي، للحَيِّ الذي فيه قصور الخِلافة وقصور الحكومة - اجْتَمَعْنَا بِالْعَسْكَرِ - أي في سامراء - وَتَرَصَّدْنَا لِأَبِي مُحَمَّدٍ - ما كانوا يستطيعون أَنْ يذهبوا لزيارته، يخافون من السُلطة والإمام نفسه قد مَنَعَ الشيعة أَنْ تزوره في داره، هو صحيح يسكنُ في دارٍ لكن هي سجن، هي سجنُ العباسيين له - اجْتَمَعْنَا بِالْعَسْكَرِ وَتَرَصَّدْنَا - من بعيد نراقب متى يخرج الإمام علناً نُسلم عليه، علناً نُؤشِّر إليه بأيدينا من بعيد، شيعةٌ يشتاقون لإمامهم يريدون رؤيته - اجْتَمَعْنَا بِالْعَسْكَرِ وَتَرَصَّدْنَا لِأَبِي مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَوْمَ رُكُوبِهِ - فهناك يوم يخرج فيه الإمام يذهب إلى قصر الخليفة أو يخرج مع الخليفة، هذا البرنامج مرسوم من قِبَل الدولة - اجْتَمَعْنَا بِالْعَسْكَرِ وَتَرَصَّدْنَا لِأَبِي مُحَمَّدٍ يَوْمَ رُكُوبِهِ فَخَرَجَ تَوْقِيعُهُ - يعني بعد أن اجتمعنا وبدأنا ننتظر متى سيأتي الوقت الذي يخرج فيه الإمام وصلتنا رسالة من الإمام، رسالة خطية، توقيع يعني رسالة خطية: - فَخَرَجَ تَوْقِيعُهُ أَلَّا لَا يُسَلِّمَنَّ عَلَيَّ أَحَدٌ - لا تُسَلِّمُون عَلَيَّ - وَلَا يُشِيرُ إِلَيَّ بِيَدِهِ وَلَا يُؤْمِي - أي إشارة أي حركة، إذا ما رأيتوني فلا تُسَلِّموا عَلَيَّ ولا حتَّى إشارة باليد ولا إيماء، الإيماء يعني حركة خفية جداً، الإيماء هي إمَّا حركة بالرأس أو بالعين، يعني كم هي المراقبة كانت شديدة، بحيث

الإمام يقول: **أَلَا لَا يُسَلَّمَنَّ عَلَيَّ أَحَدٌ وَلَا يُشِيرَ إِلَيَّ بِيَدِهِ** - إشارة باليد ممنوع - **وَلَا يُؤْمَى** - الإيماء إماماً تكون بالرأس أو بحركة العين - **فَاتَّكُم لَا تُؤْمِنُونَ عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ** - ستؤخذون، ظرف في غاية القسوة، إذاً ماذا يصنعون؟ تبقى لغة العيون الخفية، يعني فقط ينظرون بعيونهم وربما نظر إليهم الإمام فتتكلّم لغة العيون فقط وبشكلٍ خفيٍّ أيضاً، ولغة العيون لا بُدَّ أن تكون بشكلٍ خفيٍّ، فالمراقبة شديدة جداً، قطعاً في مثل هذه الظروف، في مثل هذه الأجواء، لا يبقى إلا هذا الأسلوب، إلا لغة العيون، لغة الإشارات، لغة الإيماءات، لغة الكلام متعطّلة.

في الأحاديث التي تتناول الشؤون المهدويّة هناك قانون، هذا القانون يُمكن أن نصلح عليه قانون الأمامي، الروايات هكذا سمّته، في غيبة شيخنا النعماني: **(عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَقِطِينَ - عَلِيٍّ بْنِ يَقِطِينَ** مرّ ذكره في الحلقة السابقة الذي صار رئيساً للوزراء عند هارون العبّاسي بتنسيقٍ وأمرٍ وترتيبٍ من الإمام موسى بن جعفر صلوات الله عليهما - **عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَقِطِينَ عَنْ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ - عَلِيٍّ بْنِ يَقِطِينَ - قَالَ، قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ: يَا عَلِيُّ - الْخَطَابُ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ يَقِطِينَ - يَا عَلِيُّ الشَّيْعَةُ تُرَبِّي بِالْأَمَانِيِّ مِنْذُ مِئْتَيْ سَنَةٍ - الشَّيْعَةُ تُرَبِّي بِالْأَمَانِيِّ مِنْذُ قَرْنَيْنِ،** يعني منذ زمان النبي إلى الزمن الذي يتحدّث فيه إمامنا الكاظم - **الشَّيْعَةُ تُرَبِّي بِالْأَمَانِيِّ مِنْذُ مِئْتَيْ سَنَةٍ -** فتأتي الأحاديث المهدويّة بحيث تصنع الأمل عند الشيعة من جهة إمكانية تطبيقها في كلّ مقطعٍ زمني، لذا حين ندرس التاريخ الشيعي نجد أنّ الشيعة تُطبّق الأحاديث في كلّ قرنٍ من القرون الماضية وإلى يومنا هذا، ولولا ذلك لقسست القلوب، قطعاً لو كان الشيعة على عقيدةٍ راسخة وثابتة كما يصف إمامنا السجّاد صلوات الله وسلامه عليه المرتبة المطلوبة أن تكون الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة لما بلغوه من درجةٍ عاليةٍ في العقل والفهم والمعرفة كما يقول إمامنا السجّاد: **(لَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَعْطَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ وَالْمَعْرِفَةِ مَا صَارَتْ بِهِ الْغَيْبَةُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمَشَاهِدَةِ)** لو بلغ الشيعة إلى هذا الحد لما احتاجوا إلى قانون الأمامي ولما نسج الأئمّة أحاديث الشؤون المهدويّة بهذا القانون، بقانون الأمانيات - **يَا عَلِيُّ الشَّيْعَةُ تُرَبِّي بِالْأَمَانِيِّ مِنْذُ مِئْتَيْ سَنَةٍ -** ولا زلنا إلى الآن نترى بالأمامي - **قَالَ، وَقَالَ يَقِطِينَ لِابْنِهِ عَلِيٍّ بْنِ يَقِطِينَ: مَا بَالُنَا قِيلَ لَنَا فَكَانَ -** والد علي وهو يقطين كان من الرجال المؤسّسين للدولة العبّاسية - **مَا بَالُنَا قِيلَ لَنَا فَكَانَ -** يعني خبّرنا بأن العبّاسيين

سيحكمون وحكمنا - ما بألنا قيل لنا فكان وقيل لكم - أنتم باعتبار أن علياً من شيعة الأئمة وإن كان هذا الأمر خافياً على العباسيين لكن أباه كان يعلم بذلك - وقيل لكم فلم يكن، فقال له علي: إن الذي قيل لكم ولنا كان من مخرج واحد - هو من محمد وآل محمد - غير أن أمركم حضر وقتته فأعطيتم محضه - تمامه - فكان كما قيل لكم، وإن أمرنا لم يحضر فعللنا بالأماني - هو الآن يشرح لأبيه ما فهمه من الإمام الكاظم قانون الأماني - وإن أمرنا لم يحضر فعللنا بالأماني فلو قيل لنا إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مني سنة وثلاث مئة سنة لقسست القلوب ولرجعت عامة الناس عن الإيمان إلى الإسلام ولكن قالوا ما أسرعه وما أقرببه تألفاً لقلوب الناس وتقريباً للفرج) - قانون الأماني هو أيضاً جزء وتطبيق من قانون المكر الرحماني.

نذهب إلى فاصل ملاً باسم يُنشدنا عن فاطمة بنت الحسين صلوات الله عليه وعليها.

في مُقدِّمة الصحيفة السجادية برواية متوكل بن هارون عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: (ما خرج ولا يخرج منا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحدٌ ليدفع ظلماً أو يُنْعَشَ حقاً إلا اضطلمته البلية - ماذا يقول إمامنا الصادق؟ - ما خرج ولا يخرج منا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحدٌ ليدفع ظلماً أو يُنْعَشَ حقاً إلا اضطلمته البلية وكان قيامه زيادةً في مكروهننا وشيعتنا) - يعني في مكروهننا ومكروه شيعتنا، هذا في مُقدِّمة الصحيفة السجادية برواية متوكل بن هارون.

إبن إدريس الحلبي في السرائر ينقل لنا هذه الرواية: (ذَكَرَ بَيْنَ يَدَيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ خَرَجَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ فَقَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: لَا أَزَالُ وَشِيعَتِي بِخَيْرٍ مَا خَرَجَ الْخَارِجِيُّ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَلَوَدِدْتُ أَنَّ الْخَارِجِيَّ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ خَرَجَ وَعَلَيَّ نَفَقَةٌ عِيَالِهِ).

بالضبط الرواية الأولى مغرّبة، الرواية الثانية مشرّقة، الرواية الأولى تذهب بهذا الاتجاه، الرواية الثانية تذهب باتجاه معاكس، لكل رواية حيثياتها ولكن كل ذلك يقع تحت خيمة قانون المكر الرحماني، هناك ذوق وخيط واحد ينظم كل هذه المعطيات، كل التفاصيل التي مرّت في الحلقة الماضية والتفاصيل التي أشرت إليها الآن ولو ذهبنا نتبع وصاياهم صلوات الله عليهم لأصحابهم، وصاياهم لأصحابهم في السكوت أو في الكلام،

وصاياهم لأصحابهم في أن يتكلموا في نطاقٍ ضيقٍ في الوسطِ الشيعي أو أن يجلسوا في المساجد العامة المفتوحة الجامعة ويُحدِّثونَ الناسَ، وصاياهم لأصحابهم، مواقفهم وطريقتهم تعاملهم مع المخالفين لهم من الهاشميين أو من غيرهم، مواقفهم وطريقتهم تعاملهم مع الفرق المختلفة التي تحمل أفكاراً متباينةً ومختلفةً ومُتضادةً، مواقفهم من سلاطين وحُكَّامِ عصرهم، مواقفهم من الحركات المعارضة للحكومات وللخلفاء الذين عاصروهم، لو أردنا أن نتبعَ كلَّ هذه التفاصيل فإننا سنجدُ تطبيقَ قانونِ المكرِ الرحماني والمراد من المكر، المراد من الكيد هو أنَّ الإنسان يتكلَّمُ شيئاً ولكنَّه يريدُ شيئاً آخر، يفعلُ شيئاً يُحاولُ أن يفهمَ الطرفَ الآخرَ مفهوماً معيَّناً ولكنَّه في الحقيقة لا يريدُ ذلكَ المفهومَ، هو يقصدُ شيئاً آخر، ما يحملة في داخله يحملُ شيئاً آخر، فهذه التعابير وهذه المواقف كُلُّها تتحرَّكُ بهذا الاتجاه، أسلوبٌ من أساليب الاحتراز وأسلوبٌ من أساليب التنمية الداخلية، إحترازٌ من الأعداء وتنمية داخلية، تنمية داخل الوسط الشيعي، هو هذا قانونُ المكر: إحترازٌ من الأعداء، حمايةٌ للأولياء، ونماءٌ داخل مجموعة الأولياء، فتحرَّزٌ ودفعٌ للأعداء وحمايةٌ للأولياء ونماءٌ في نفس الوقت.

إذا ما ذهبنا إلى جابر بن يزيد الجعفي وهو من خاصة أصحاب الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية في رجال الكشي: (عَنْ جَابِرٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ وَأَنَا شَابٌ - جَابِرُ الْجَعْفِيُّ التَّحِقُّ بِالْأَئِمَّةِ وَهُوَ دُونَ الْعَشْرِينَ، جَابِرُ الْجَعْفِيُّ أَصْلُهُ مِنَ الْكُوفَةِ، عِرَاقِيٌّ مِنَ الْكُوفَةِ مِنْ قَبِيلَةِ جُعْفَةَ، وَذَهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ، هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِلتَّحَاقِقِ بِالْإِمَامِ السَّجَادِ وَكَانَ عَمْرُهُ دُونَ الْعَشْرِينَ، كَانَ صَغِيرَ السِّنِّ، وَأَصْحَابُ الْأَئِمَّةِ أَكْثَرَهُمْ هَكَذَا، كَانَتْ أَسْنَانُهُمْ دُونَ الْعَشْرِينَ، قُلُوبُ الشَّبَابِ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ أَمِيلٌ، كَمَا يَقُولُونَ: (قُلُوبُ الْأَحْدَاثِ إِلَى حَدِيثِنَا أَمِيلٌ) - دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ وَأَنَا شَابٌ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ - هَذَا أَيَّامُ الْإِمَامِ السَّجَادِ، لِأَنَّهُ التَّحِقُّ بِالْإِمَامِ السَّجَادِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ - فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: مِمَّنْ؟ قُلْتُ: مِنْ جُعْفَةَ، قَالَ: مَا أَقْدَمَكَ إِلَيَّ هَاهُنَا؟ قُلْتُ: طَلَبْتُ الْعِلْمَ، قَالَ: مِمَّنْ؟ قُلْتُ: مِنْكَ، قَالَ: فَإِذَا سَأَلْتَ أَحَدًا مِنْ أَيْنَ أَنْتَ فَقُلْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ - يَعْنِي الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ - قَالَ، قُلْتُ: أَسَأَلُكَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ عَنِ هَذَا أَيَّامِ لِي أَنْ أَكْذِبَ؟ قَالَ: لَيْسَ هَذَا بِكَذِبٍ مَنْ كَانَ فِي مَدِينَةٍ فَهُوَ مِنْ أَهْلِهَا حَتَّى يَخْرُجَ، قَالَ: وَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا وَقَالَ لِي: إِنَّ أَنْتَ حَدَّثْتَ بِهِ حَتَّى تَهْلِكَ بَنُو

أُمِّيَّة فَعَلَيْكَ لَعْنَتِي وَلَعْنَةُ آبَائِي وَإِذَا أَنْتَ كَتَمْتَ مِنْهُ شَيْئاً بَعْدَ هَلَاكِ بَنِي أُمِّيَّة فَعَلَيْكَ لَعْنَتِي وَلَعْنَةُ آبَائِي، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيَّ كِتَاباً آخَرَ ثُمَّ قَالَ: وَهَآكَ هَذَا فَإِنْ حَدَّثْتَ بِشَيْءٍ مِنْهُ أَبَدًا فَعَلَيْكَ لَعْنَتِي وَلَعْنَةُ آبَائِي) - هذا هو جابر الجعفي، جابر الجعفي بعد أن نال حظاً وفيراً من العلم والرواية تُشيرُ إلى ذلك، رجع إلى العراق فكان مرجع الشيعة في العراق آنذاك، في سني خلافة هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي المعروف، ذهب جابر الجعفي إلى الحجاز تحت عنوان الحج، هم يذهبون للقاء الأئمة والحج ما قيمته من دون لقاء الإمام؟! هذه هي ثقافة أهل البيت: كمال الحج لقاء الإمام، الحج ناقص لا قيمة له من دون لقاء الإمام، ورجع وفي الطريق جاء من يحملُ إليه رسالةً، الرسالة من إمامنا الباقر، ما الذي جاء في هذه الرسالة؟ يأمره الإمام إذا ما وصل إلى الكوفة أن يتظاهر بالجنون، جابر الجعفي حاملُ أسرار أهل البيت مرجع الشيعة آنذاك في العراق، وفعلاً كما وصل إلى الكوفة، وصلت القافلة اليوم، صبيحة اليوم الثاني هناك من ذهب إليه لِيُسَلِّمَ عليه، ليتحمَّدَ له السلامة فماذا وجد؟ وجد جابراً وقد لبس المُصَبَّغَات، المُصَبَّغَات يعني ثياب ملونة باللون الأحمر والأزرق والأصفر، وقد لبس المُصَبَّغَات وَعَقَّصَ شعره، يعني ظَفَرَهُ ظفائر شبيهة بظفائر النساء، وعلَّق في رقبته الكِعَاب، الكِعَاب جمع كعب وهي العظام التي تؤخذ من أرجل الحيوانات، من أرجل الأغنام والخراف والأبقار، وعلَّق في رقبته الكِعَاب والحرز وأخذ جريدةً وشدها بخيط وامتطأها على أظفار فرس له وحمل قوصرة، القوصرة هي الوعاء الذي يُصنع من خوص النخيل يوضع فيه التمر أو غير التمر، وحمل قوصرة على رأسه وصبغ نفسه ويركض في الشوارع والأطفال يركضون خلفه وهو يُنشدُ للأطفال، فشاع الخبر جُنَّ جابر، وبقي على هذا الحال مُدَّة طويلة، بعد أيام جاء الكتاب من الخليفة الأموي إلى عامله على الكوفة أن إحمل إليَّ جابر بن يزيد الجعفي، في رواية إقطع رأسه وجئني برأسه فلما سأل عامل الكوفة عن جابر قيلَ له هذا رجلٌ كان عالماً وجُنَّ الآن وانظر إليه، وكان جابر يتعمَّد يبدو أنَّ الإمام أمره أن يذهب إلى الرُّحبة، الرُّحبة أو الرُّحبة وهو الميدان الكبير في مدينة الكوفة وكان قريباً من قصر الخليفة، من قصر الخلافة، من قصر الوالي، فأطلَّ الوالي من قصره على ميدان الرحبة ورأى جابراً يركض بمصبغاته وعلى الجريدة والأطفال يركضون خلفه، فكتب إلى الخليفة الأموي بأنَّ الرجل قد جُنَّ وأنا رأيته بعيني فتركوه، إلى فترة زمنية يبدو أنَّ الأمر جاء من المدينة أن يرجع إلى حالك أو أنَّ الأمر كان مُحدِّداً له المُدَّة في الرسالة التي وصلت إليه من باقر العلوم صلواتُ الله وسلامه عليه، والذي حمل الرسالة إليه كان من الجن، الرواية هكذا تقول، وإنما أشرتُ إلى هذه

الملاحظة كي يُعرف أنّ الأئمة في بعض الأحيان يستعملون الجن، مثلما إبليس يستعمل الجن ويستعمل البشر الأئمة أيضاً في مواجهة المكر الإبليسي الذي يستعمل الجن والبشر هم يستعملون الجن والبشر والملائكة.

هذا هو الكافي، الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف والشيخ الكليني عقد باباً في الجزء الأول: (باب أنّ الجن يأتيهم فيسألونهم عن معالم دينهم ويتوجهون في أمورهم)، يتوجهون في أمورهم يعني أنّ الأئمة يأمرهم ببعض المأموريات، أقرأ لكم الرواية: (عَنْ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: كُنْتُ مُزَامِلاً لِجَابِرِ بْنِ يَزِيدِ الْجُعْفِيِّ - هذا النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ غَيْرَ ذَلِكَ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرِ الصَّحَابِيِّ، هذا شخص آخر - عَنْ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: كُنْتُ مُزَامِلاً لِجَابِرِ بْنِ يَزِيدِ الْجُعْفِيِّ فَلَمَّا أَنْ كُنَّا بِالْمَدِينَةِ دَخَلَ عَلَيَّ أَبِي جَعْفَرٍ فَوَدَّعَهُ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ مَسْرُورٌ حَتَّى وَرَدْنَا الْأَخِيرَةَ أَوَّلَ مَنْزِلٍ نَعْدِلُ مِنْ فَيْدٍ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَصَلَّيْنَا الزَّوَالَ فَلَمَّا نَهَضَ بِنَا الْبَعِيرِ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ طَوَالَ - طويل - آدَمَ - يعني شديد السُمرة - مَعَهُ كِتَابٌ فَنَآوَلُهُ جَابِراً فَتَنَآوَلُهُ فَقَبَّلَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ - يبدو أنّ جابر يعرف هذا الرسول، إلا أنّ يكون الرسول قد قال له كلاماً لم يُذكر في هذه الرواية - فَلَمَّا نَهَضَ بِنَا الْبَعِيرِ - هُوَ قَالَ كُنْتُ مُزَامِلاً، مُزَامِلٌ يعني كان يركب مع جابر على نفس البعير، من هو هذا؟ النعمان بن بشير، لذلك يقول: فَلَمَّا نَهَضَ بِنَا الْبَعِيرِ - لأتّهما كانا يركبان على بعير واحد، في البداية قال: كُنْتُ مُزَامِلاً لِجَابِرِ بْنِ يَزِيدِ الْجُعْفِيِّ - يعني يركبان على بعير واحد - فَلَمَّا أَنْ كُنَّا بِالْمَدِينَةِ دَخَلَ عَلَيَّ أَبِي جَعْفَرٍ فَوَدَّعَهُ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ مَسْرُورٌ حَتَّى وَرَدْنَا الْأَخِيرَةَ أَوَّلَ مَنْزِلٍ نَعْدِلُ مِنْ فَيْدٍ - فَيْدٌ أيضاً إسم منطقة قريبة من المدينة - مِنْ فَيْدٍ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَصَلَّيْنَا الزَّوَالَ فَلَمَّا نَهَضَ بِنَا الْبَعِيرِ - يعني بعد الصلاة - إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ طَوَالَ آدَمَ مَعَهُ كِتَابٌ فَنَآوَلُهُ جَابِراً فَتَنَآوَلُهُ فَقَبَّلَهُ - يبدو أنّهُ يعرف الرسول - وَوَضَعَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ وَإِذَا هُوَ - ما في الكتاب - مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى جَابِرِ بْنِ يَزِيدٍ وَعَلَيْهِ طِينٌ أَسْوَدٌ رَطْبٌ - كانت الكتب هكذا يضعون عليها طين ويختمون حتّى يبقى الكتاب غير مفتوح، يضعون طين أو شمع أو مواد أخرى، المهم كي يُخْتَمَ الْكِتَابُ - وَعَلَيْهِ طِينٌ أَسْوَدٌ رَطْبٌ، فَقَالَ: مَتَى عَهْدُكَ بِسَيِّدِي؟ - واضح أنّ الطين رطب، الآن موضوع - مَتَى عَهْدُكَ بِسَيِّدِي؟ فَقَالَ: السَّاعَةَ - السَّاعَةَ يعني في هذه اللحظة، هذه مسافة تحتاج إلى وقت من الأخيرجة

إلى المدينة، فلم يكن من البشر، كان من الجن هذا الرسول، لذلك الشيخ الكليني أين وضعها؟ وضعها في هذا الباب في علاقة الجن بهم صلوات الله عليهم - فَقَالَ: مَتَى عَهْدُكَ بِسَيِّدِي؟ فَقَالَ: السَّاعَةَ، فَقَالَ لَهُ: قَبْلَ الصَّلَاةِ أَوْ بَعْدَ الصَّلَاةِ، قَالَ: بَعْدَ الصَّلَاةِ - الْآنَ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَنَا جِئْتُ - فَفَكَ الْخَاتَمَ وَأَقْبَلَ يَقْرَأُهُ وَيَقْبِضُ وَجْهَهُ - يعني وجه جابر انقبض، إِنَّ شَيْئاً جَعَلَ وَجْهَهُ يَنْقَبِضُ - حَتَّى أَتَى عَلَيَّ آخِرِهِ ثُمَّ أَمْسَكَ الْكِتَابَ - هذا النعمان بن بشير الذي كان يُزامله ما كان يعرف ماذا في الكتاب لكن بعد ذلك اتَّضَحَ الْأَمْرُ - ثُمَّ أَمْسَكَ الْكِتَابَ فَمَا رَأَيْتُهُ ضَاحِكاً وَلَا مَسْرُوراً حَتَّى وَافَى الْكُوفَةَ، فَلَمَّا وَافَيْنَا الْكُوفَةَ لَيْلاً بَتُّ لَيْلَتِي فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُهُ إِعْظَاماً لَهُ - إِكْرَاماً، إِجْلَالاً - فَوَجَدْتُهُ قَدْ خَرَجَ عَلَيَّ وَفِي عُنُقِهِ كِعَابٌ - جمع لكعب، هذي العظام التي تُسْتَخْرَجُ مِنْ أَرْجُلِ الْحَيَوَانَاتِ - وَفِي عُنُقِهِ كِعَابٌ قَدْ عَلَقَهَا وَقَدْ رَكِبَ قَصَبَةً وَهُوَ يَقُولُ: أَجِدُ مَنْصُورَ بَنِ جُمُهَورٍ أَمِيراً غَيْرَ مَأْمُورٍ وَأَبْيَاتاً مِنْ نَحْوِ هَذَا - كان يُرَدِّدُ آيَاتِ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَا يَعْرِفُونَ مَنْ هُوَ مَنْصُورُ بَنِ جُمُهَورٍ وَكَانَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ يَتَحَدَّثُ عَنْ رَجُلٍ إِسْمُهُ مَنْصُورُ بَنِ جُمُهَورٍ سَيَكُونُ أَمِيراً عَلَى الْكُوفَةِ وَسَيَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّنْبُؤِ - فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ وَنَظَرْتُ فِي وَجْهِهِ فَلَمْ يَقُلْ لِي شَيْئاً وَلَمْ أَقُلْ لَهُ وَأَقْبَلْتُ أَبْكَي لِمَا رَأَيْتُهُ وَاجْتَمَعَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِ الصَّبَّيَّانُ وَالنَّاسُ وَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ الرَّحْبَةَ - الميدان، يعني الساحة الكبيرة في الكوفة - وَأَقْبَلَ يَدُورُ مَعَ الصَّبَّيَّانِ وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: جُنُّ جَابِرُ بْنُ يَزِيدٍ جُنُّ، فَوَاللَّهِ مَا مَضَتْ الْأَيَّامُ حَتَّى وَرَدَ كِتَابُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَيَّ وَإِلَيْهِ عَلَى الْكُوفَةَ أَنْ انْظُرْ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ جَابِرُ بْنُ يَزِيدٍ الْجُعْفِيُّ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ وَابْعَثْ إِلَيَّ بِرَأْسِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ جُلَسَائِهِ فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ جَابِرُ بْنُ يَزِيدٍ الْجُعْفِيُّ؟ قَالُوا: أَصْلَحَكَ اللَّهُ كَانَ رَجُلًا لَهُ عِلْمٌ وَفَضْلٌ وَحَدِيثٌ وَحَجٌّ فَجُنُّ وَهُوَ ذَا فِي الرَّحْبَةِ مَعَ الصَّبَّيَّانِ عَلَى الْقَصَبِ يَلْعَبُ مَعَهُمْ، قَالَ: فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ مَعَ الصَّبَّيَّانِ يَلْعَبُ عَلَى الْقَصَبِ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِنْ قَتْلِهِ، قَالَ: وَلَمْ تَمُضِ الْأَيَّامُ حَتَّى دَخَلَ مَنْصُورُ بْنُ جُمُهَورٍ - وَالْيَأَى مِنْ قَبْلِ الْأُمَوِيِّينَ - الْكُوفَةَ وَصَنَعَ مَا كَانَ يَقُولُ جَابِرٌ - حَتَّى الْآيَاتِ الَّتِي كَانَ يَرُدُّهَا جَابِرٌ هِيَ دَاخِلَةٌ فِي هَذَا الْقَانُونِ لِأَنَّ جَابِرًا يُشِيرُ إِلَيْنَا وَيُشِيرُ إِلَى آخَرِينَ بِأَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ عَقْلِ، لِذَلِكَ كَانَ يَقُولُ آيَاتًا يَتَنَبَّأُ، وَجَابِرٌ مِنْ حَمَلَةِ الْأَسْرَارِ، الرِّوَايَاتُ كَثِيرَةٌ عَنْ جَابِرٍ مَوْجُودَةٌ لَكِنِ الْمَقَامُ

ليس منعقدًا للحديث عن جابر الجعفي وإنما هي لقطات، معطيات اقتطفها بنحو إجمالي كي تتوضح الصورة ويتوضح المفهوم عن قانون المكر، المكر الرحماني.

رواية ينقلها الشيخ المجلسي في البحار - (عَنْ مُعْتَبِ مَوْلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنِّي لَوَاقِفٌ يَوْمًا خَارِجًا مِنَ الْمَدِينَةِ وَكَانَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ - يوم التروية هو اليوم الثامن من ذي الحجة، لكن مُعْتَبِ أين كان؟ كان موجوداً في المدينة، الإمام الصادق أين موجود؟ كان موجوداً في مكة - إِنِّي لَوَاقِفٌ يَوْمًا خَارِجًا مِنَ الْمَدِينَةِ وَكَانَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ فَدَنَا مِنِّي رَجُلٌ فَنَاولَنِي كِتَابًا طِينُهُ رَطْبٌ - مسافة بعيدة ما بين مكة والمدينة - فَناولَنِي كِتَابًا طِينُهُ رَطْبٌ - أولاً المسافة بعيدة، والأجواء حارة في الحجاز في أغلب أيام السنة والطين رطب يعني في هذه اللحظة قد وُضِعَ - وَالكِتَابُ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ بِمَكَّةَ حَاجٌ - الإمام الصادق بمكة ومُعْتَبِ أين؟ في المدينة - فَفَضَضْتُهُ وَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ إِذَا كَانَ غَدًا إِفْعَلُ كَذَا وَكَذَا وَنَظَرْتُ إِلَى الرَّجُلِ لِأَسْأَلَهُ مَتَى عَهْدُكَ بِهِ فَلَمْ أَرَى شَيْئًا سَلَمَنِي وَغَابَ فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: ذَلِكَ مِنْ شِيعَتِنَا مِنْ مُؤْمِنِي الْجَنِّ إِذَا كَانَتْ لَنَا حَاجَةٌ مُهِمَّةٌ أَرْسَلْنَاهُمْ فِيهَا) - تتعاضد في المضمون مع نفس الكلام الذي جاء في قصة جابر بن يزيد الجعفي.

في الكافي الشريف الجزء الأول الرواية عن أبان: (قَالَ: أَخْبَرَنِي الْأَحْوَلُ - الأحول هو مؤمن الطاق من أصحابِ أئمتنا، من أصحاب الإمام الصادق :- قَالَ: أَخْبَرَنِي الْأَحْوَلُ - يعني مؤمن الطاق - أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بَعَثَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ - مؤمن الطاق كان في العراق وكان في الكوفة، بعد ذلك انتقل إلى بغداد وُسِّمِي بمؤمن الطاق لأنه الشيعي الوحيد الذي كان له دُكَّانٌ في منطقة الطاق في بغداد، والمراد من الطاق هو طاق كسرى، طاق المدائن، على أي حال ليس الحديث الآن عن ترجمة الأحول - أَخْبَرَنِي الْأَحْوَلُ أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بَعَثَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ - أيام كان زيد في الكوفة والأحول موجود في الكوفة أيضاً - قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا جَعْفَرٍ - هذه كُنْيَةُ مؤمن الطاق - يَا أَبَا جَعْفَرٍ مَا تَقُولُ إِنْ طَرَقَكَ طَارِقٌ مِنَّا أَتَخْرُجُ مَعَهُ - طَرَقَكَ طارق يعني طلب منك طَالِبٌ مِنَّا أَنْ تَخْرُجَ مَعَهُ، أن تشور بوجه الحكيم الأموي - مَا تَقُولُ إِنْ طَرَقَكَ طَارِقٌ مِنَّا أَتَخْرُجُ مَعَهُ؟ قَالَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ كَانَ أَبَاكَ أَوْ أَخَاكَ

خَرَجْتُ مَعَهُ - إِنَّ كَانَ أَبَاكَ يَعْنِي الْإِمَامَ السَّجَادَ أَوْ كَانَ أَخَاكَ يَعْنِي الْإِمَامَ الْبَاقِرَ - إِنَّ كَانَ أَبَاكَ أَوْ أَخَاكَ
خَرَجْتُ مَعَهُ، قَالَ، فَقَالَ لِي: فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُخْرَجَ - الْأَحْوَالُ جَاءَ بِذِكْرِ الْإِمَامِ السَّجَادِ وَبِذِكْرِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ
يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ لَزِيدٍ إِنِّي لَا أُخْرَجُ إِلَّا مَعَ مَعْصُومٍ - فَقَالَ لِي: فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُخْرَجَ أُجَاهِدَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ
فَأَخْرَجَ مَعِي، قَالَ، قُلْتُ: لَا، مَا أَفْعَلُ جُعِلْتُ فِدَاكَ، قَالَ، فَقَالَ لِي: أَتَرَعْبُ بِنَفْسِكَ عَنِّي؟ قَالَ، قُلْتُ
لَهُ: إِنَّمَا هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ فَإِنَّ كَانَ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ حُجَّةٌ فَالْمُتَخَلِّفُ عَنكَ نَاجٍ وَالخَارِجُ مَعَكَ هَالِكٌ -
إِذَا كَانَ هُنَاكَ حُجَّةٌ وَهُوَ لَمْ يَخْرُجْ مَعَكَ - فَالْمُتَخَلِّفُ عَنكَ نَاجٍ - الْمُتَخَلِّفُ مَعَ الْحُجَّةِ - وَالخَارِجُ مَعَكَ
هَالِكٌ وَإِلَّا تَكُنْ لِلَّهِ حُجَّةٌ فِي الْأَرْضِ فَالْمُتَخَلِّفُ عَنكَ وَالخَارِجُ مَعَكَ سَوَاءٌ، قَالَ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا
جَعْفَرٍ كُنْتُ أَجْلِسُ مَعَ أَبِي عَلِيِّ الخُوَانِ - يَعْنِي عَلَى سَفَرَةِ الطَّعَامِ - فَيُلْقِمُنِي البَضْعَةَ السَّمِينَةَ - يَعْنِي
اللَّقْمَةَ، الْقِطْعَةَ مِنَ اللَّحْمِ أَوْ الْقِطْعَةَ مِنَ الطَّعَامِ - فَيُلْقِمُنِي البَضْعَةَ السَّمِينَةَ وَيَبْرُدُ لِي اللَّقْمَةَ الْحَارَّةَ حَتَّى
تَبْرُدَ شَفَقَةً عَلَيَّ وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَيَّ مِنْ حَرِّ النَّارِ إِذَا أَخْبَرَكَ بِالَّذِينَ وَلَمْ يُخْبِرْنِي بِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ
فِدَاكَ مِنْ شَفَقَتِهِ عَلَيْكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ لَمْ يُخْبِرْكَ خَافَ عَلَيْكَ أَنْ لَا تُقْبَلَهُ فَتَدْخُلَ النَّارَ وَأَخْبِرْنِي أَنَا فَإِنْ
قَبِلْتُ نَجَوْتُ وَإِنْ لَمْ أَقْبَلْ - قِطْعًا لَيْسَ مَعْرُوفًا عِنْدَنَا أَنَّ مَوْمِنَ الطَّاقِ التَّقَى بِالْإِمَامِ السَّجَادِ لَكِنْ بِاعْتِبَارِ
أَنَّ الْإِمَامَ السَّجَادَ أُخِذَ فِرْضًا فِي النَّقَاشِ لِأَنَّهُ هُوَ الْإِمَامُ الْمَعْصُومُ - وَأَخْبِرْنِي أَنَا فَإِنْ قَبِلْتُ نَجَوْتُ وَإِنْ لَمْ
أَقْبَلْ لَمْ يُبَالِ أَنْ أَدْخُلَ النَّارَ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَنْتُمْ أَفْضَلُ أَمْ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: بَلِ الْأَنْبِيَاءُ،
قَالَتْ، يَقُولُ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ ﴿لِمَ لَمْ
يُخْبِرْهُمْ حَتَّى كَانُوا لَا يَكِيدُونَ وَلَكِنْ كَتَمَهُمْ ذَلِكَ فَكَذَا أَبُوكَ كَتَمَكَ لِأَنَّهُ خَافَ عَلَيْكَ، قَالَ، فَقَالَ: أَمَا
وَاللَّهِ لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ حَدَّثَنِي صَاحِبُكَ بِالْمَدِينَةِ - صَاحِبُكَ يَشِيرُ إِلَى الْإِمَامِ الصَّادِقِ، هَذِهِ الْمَحَاوِرَةُ فِي
زَمَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ فَلِذَلِكَ قُلْتُ بِأَنَّ الْكَلَامَ لَمْ يَكُنْ مَعَ الْإِمَامِ السَّجَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ إِسْمُ الْإِمَامِ عَلَى سَبِيلِ
الْفِرْضِ فِي النَّقَاشِ - أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ حَدَّثَنِي صَاحِبُكَ بِالْمَدِينَةِ أَنِّي أَقْتَلُ وَأُصَلِّبُ بِالْكُنَاسَةِ
- كُنَاسَةُ الْكُوفَةِ - وَأَنَّ عِنْدَهُ لَصَحِيفَةً فِيهَا قَتْلِي وَصَلْبِي، فَحَجَجْتُ فَحَدَّثْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِمَقَالَةِ زَيْدٍ
وَمَا قُلْتُ لَهُ، فَقَالَ لِي: أَخَذْتَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ وَمِنْ
تَحْتِ قَدَمَيْهِ وَلَمْ تَتْرُكْ لَهُ مَسْلَكًا يَسْلُكُهُ) - إِذَا نَفَهْمُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ لِوَحْدِهَا عَلَى طَرِيقَةِ الشَّافِعِيِّ فِي الْفَهْمِ

أن نأخذ الرواية على حدة وأن ننظر إلى اللغة فقط، اللغة بما هي بحسب الألفاظ الواردة في الرواية فإنَّ فهماً سيتولَّد عندنا يختلفُ مئة مائة عن الفهم الحقيقي وعن حقيقة الأمر التي تتضح من مجموع أحاديثهم وكلماتهم.

● الكلام الذي دار - أنتم أفضل أم الأنبياء، قال: بل الأنبياء - وهذه من بديهيات ثقافة أهل البيت أن الأنبياء من شيعتهم فكيف يكون شيعتهم أفضل منهم؟ من شيعتهم تشريعاً وتكويناً، تكويناً؛ خلُقوا من فاضل طينتهم وتشريعاً؛ دينهم لا يقوم إلا بنبوة النبي وولاية عليٍّ والأئمة، ما بُعث نبيٍّ إلا بهذا، فهم شيعةٌ تكويناً وشيعةٌ تشريعاً ولكن لماذا كانت المكاملة بهذه الصيغة وبهذه الصورة؟ لأن هذا الكلام سينقل.

● أئمتنا كانوا يؤسسون في نفس الوقت لاتجاهين:

- كانوا يُعلِّمون ويربِّون وينشئون علماء ومجموعةً من أصحابهم تعيش جوَّ التقيّة.
- وكانوا أيضاً من وراء ستارٍ يؤيِّدون بشكلٍ مباشرٍ أو بشكلٍ غير مباشر المجموعات التي تنهض في وجه السلطة.

فيأمرون أصحابهم بعدم العمل مع تلك المجموعات بشكلٍ صريح، بعض الأصحاب يعرفون القصة ولكن البعض لا يعرفون القصة، فحين يدخلون في نقاشاتٍ وفي جدلٍ يدخلون وهم على قناعةٍ كاملة بالذي يُناقشون حوله، بأنَّ الحُكم في هذه الفترة هو التقيّة، ولا صراعٍ مباشرٍ مع السلطة الحاكمة، والبعض منهم كان يعرف لكنَّهُ يُناقش حتَّى تصل المعلومة إلى السلطة بأنَّ أصحاب الأئمة ناقشوا المجموعة المعارضة للسلطة وكان النقاش هكذا ووصل الكلام إلى الإمام الصادق وقال الإمام الصادق كذا وكذا، فكانَ هناك خطُّ بهذا الاتجاه وخطُّ آخر باتجاهٍ آخر.

بعض الأحيان السلطة العباسية بعض الحُكّام فيهم يكتشفون هذه الحقيقة، هارون العباسي حين سجن الإمام الكاظم في قصر الوزير البرمكي وكان يوماً يأتي لمراقبة الإمام الكاظم في تلك الطامورة في دار الوزير البرمكي، الوزير البرمكي كان يقول لهارون بأنَّ هذا الرجل لا يُخافُ منه، لا يُشكِّلُ خطراً علينا، الرجل في طامورته وهو منشغلٌ بصلاته وركوعه وسجوده، فهارون ماذا قال له؟ قال: كلُّ الذي يجري في شرق البلاد

وغيرها من هنا أصابعٌ تُحرِّكُ الذي خرج في اليمن أو ذلك الذي خرج في طبرستان أو ذلك الذي خرج في أفريقيا، كلُّ هذه الأحداث هناك أصابعٌ من هُنا، البعض منهم كان يعرف ولكن ليس الجميع كانوا يعرفون التفاصيل.

إذا نذهب إلى عيون أخبار الرضا لشيخنا الصدوق رحمه الله عليه والرواية عن الإمام الصادق، لاحظتم كيف أنَّ الإمام الصادق كان يتكلَّم وهذا الكلام كان قبل وقوع ثورة زيد: (عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ - وَالْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ أَيْضاً مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ، لَكِنَّ الْإِمَامَ مَا نَحَاهُ عَنِ الْإِشْتِرَاكِ فِي ثَوْرَةِ زَيْدٍ وَاشْتَرَكَ فِي ثَوْرَةِ زَيْدِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ، الرَّوَايَةُ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانَ عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ - عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانَ أَيْضاً مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ مَا اشْتَرَكَ فِي ثَوْرَةِ زَيْدٍ، تَلَاخُظُونَ الْخَطُوطَ؟

- مؤمن الطاق ناقش زيد وهذا النقاش انتشر في الوسط الشيعي.

- عبد الله بن سنان ما اشترك ولا ناقش.

- الفضيل بن يسار اشترك في المعركة، اشترك في الثورة.

(عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: ائْتَهَيْتُ إِلَى زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَبِيحَةَ يَوْمِ خَرَجَ بِالْكُوفَةِ - ائْتَهَيْتُ إِلَيْهِ يَعْنِي صِرْتُ قَرِيباً مِنْهُ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ - فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ يُعِينُنِي مِنْكُمْ عَلَيَّ قِتَالِ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا لَا يُعِينُنِي مِنْكُمْ عَلَيَّ قِتَالِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا أَخَذْتُ بِيَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - هذا الكلام يقوله زيد، لو لم يكن الإمام الصادق وراء زيد هل يقول مثل هذا الكلام بملء فيه، يعني الطرف الآخر هل يستطيع أن يقول هذا الكلام؟ الأمويون لا يستطيعون أن يقولوا هذا الكلام بهذه القوة وبهذه الوثاقة - مَنْ يُعِينُنِي مِنْكُمْ عَلَيَّ قِتَالِ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ - الأنباط هم قوم يسكنون الشام، البتراء كانت عاصمتهم، البتراء التي في الأردن، وتدمر التي في سوريا هي أيضاً من مُدُنِهِمْ، من إماراتهم، من إمارات الأنباط، تدمر والبتراء ومناطق أخرى، والأنباط أنباطان؛ هناك أنباط العراق وهناك أنباط الشام، وأنباط العراق يبدو أنهم هم الذين يُسمَّون الآن بالسومريين - مَنْ يُعِينُنِي مِنْكُمْ عَلَيَّ قِتَالِ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا لَا يُعِينُنِي

مِنْكُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا أَخَذْتُ بِيَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَمَّا قُتِلَ - قُتِلَ زَيْدٌ وَانْتَهتِ الْمَعْرَكَةُ - اِكْتَرَيْتُ رَاحِلَةً وَتَوَجَّهْتُ نَحْوَ الْمَدِينَةِ - الْفُضَيْلُ يَقُولُ - فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي وَاللَّهِ لِأَخْبِرْتَهُ بِقَتْلِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ فَيَجْرَعُ عَلَيْهِ فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَالَ: مَا فَعَلَ عَمِّي زَيْدٌ - الْإِمَامُ يَعْرِفُ أَنَّ الْفُضَيْلَ قَطَعًا خَرَجَ مَعَ زَيْدٍ - مَا فَعَلَ عَمِّي زَيْدٌ؟ فَخَنَقْتَنِي الْعَبْرَةَ، فَقَالَ: قَتَلُوهُ؟ قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ قَتَلُوهُ، قَالَ: فَصَلُّوهُ؟ قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ فَصَلُّوهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ يَبْكِي دُمُوعُهُ تَنَحَدِرُ عَنْ جَانِبِي خَدَّهُ كَأَنَّهَا الْجَمَانُ - الْجَمَانُ يَعْنِي اللَّوْلُؤُ - ثُمَّ قَالَ: يَا فَضَيْلُ شَهِدْتَ مَعَ عَمِّي زَيْدٍ قِتَالَ أَهْلِ الشَّامِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: فَكَمْ قَتَلْتُمْ مِنْهُمْ؟ قُلْتُ: سِتَّةً، قَالَ: فَلَعَلَّكَ شَاكٌ فِي دِمَائِهِمْ؟ قُلْتُ: لَوْ كُنْتُ شَاكًا مَا قَتَلْتُهُمْ - لِمَاذَا يَسْأَلُهُ الْإِمَامُ؟ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْخَطَّ الثَّانِي يُشَكِّكَ بِحَسَبِ بَرْنَامِجِ الْإِمَامِ يُشَكِّكَ فِي ثَوْرَةِ زَيْدٍ، وَالْإِمَامُ أَنْشَأَهُ ذَلِكَ هُوَ الْمَكْرُ فِي مَوَاجَهَةِ الْمَكْرِ الْإِبْلِسِيِّ، فِي مَوَاجَهَةِ مَكْرِ الظَّالِمِينَ - قَالَ: فَلَعَلَّكَ شَاكٌ فِي دِمَائِهِمْ؟ قُلْتُ: لَوْ كُنْتُ شَاكًا مَا قَتَلْتُهُمْ، فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ - الْفُضَيْلُ يَقُولُ سَمِعْتُ الْإِمَامَ الصَّادِقَ يَقُولُ - أَشْرَكْنِي اللَّهَ فِي تِلْكَ الدِّمَاءِ - يَعْنِي كُنْتُ شَرِيكًا مَعَكُمْ فِي قِتَالِ هَؤُلَاءِ وَفِي سَفْحِ دِمَائِهِمْ - فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: أَشْرَكْنِي اللَّهَ فِي تِلْكَ الدِّمَاءِ مَا مَضَى وَاللَّهِ زَيْدٌ عَمِّي وَأَصْحَابُهُ إِلَّا شُهَدَاءٌ مِثْلَ مَا مَضَى عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابُهُ) - الْحَدِيثُ وَاضِحٌ، فَمَا جَاءَ مِنْ قَدَحٍ وَدَمٍّ أَوْ عَدَمِ تَأْيِيدٍ فِي الرَّوَايَاتِ لَهُ مَسَارُهُ، وَمَا جَاءَ مِنْ مَدْحٍ وَتَأْيِيدٍ إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا الْإِمَامُ الصَّادِقُ: أَشْرَكْنِي اللَّهَ فِي تِلْكَ الدِّمَاءِ وَأَنَّ زَيْدًا وَأَصْحَابَهُ مَضَوْا عَلَى الَّذِي مَضَى عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ، فِي رَوَايَاتٍ عِنْدَنَا الَّذِينَ قُتِلُوا مَعَ زَيْدٍ كَالَّذِينَ قُتِلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَكَالَّذِينَ قُتِلُوا مَعَ عَلِيٍّ وَكَالَّذِينَ قُتِلُوا مَعَ الْحُسَيْنِ، هَذِهِ مَصَادِيقٌ وَاضِحَةٌ تَلَاخُظُونَ جَمِيعَ هَذِهِ الْمَعْطِيَّاتِ يَنْظِمُهَا خَيْطٌ وَاحِدٌ هُوَ قَانُونُ الْمَكْرِ.

في رجال الكشي والرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، زُرَّارَةُ مِنْ خَاصَّةِ أَصْحَابِ إِمَامِنَا الصَّادِقِ، هُوَ الَّذِي يَقُولُ: الْجَنَّةُ تَشْتَاقُ إِلَى زُرَّارَةَ، وَلَكِنَّ الْإِمَامَ لَعَنَهُ، لَعْنُ زُرَّارَةَ، وَانْتَشَرَ لَعْنُ زُرَّارَةَ انْتِشَارًا فَضِيعًا فِي وَقْتِهَا لِأَنَّ الْإِمَامَ كَانَ يَرِيدُ هَذَا اللَّعْنِ يَصِلُ إِلَى السُّلْطَةِ، فَالسُّلْطَةُ كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ زُرَّارَةَ، فَلَعَنَهُ الْإِمَامُ لَعْنًا شَدِيدًا جَدًّا وَتَبَرُّأً مِنْهُ وَأَعْلَنَ عِدَاؤَهُ لَزُرَّارَةَ بِحَيْثُ أَنَّ الشَّيْعَةَ صُدِّمَتْ لَكِنَّهَا صَدَّقَتْ بِأَنَّ زُرَّارَةَ

معلون، بأن زرارة عدو للإمام الصادق، انتشر لعنه انتشاراً فضيعاً رائجاً جداً، السُلطة صدقت به والشيعة صدقوا به وزرارة كبير أصحاب الإمام الصادق في العراق، مرجع الشيعة في العراق، عبد الله بن زرارة يأتي إلى الإمام الصادق: (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُرَّارَةَ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - إمامنا الصادق يقول لعبد الله بن زرارة، وهذا الكلام زرارة كان يعرفه ولكن الإمام يريد هذا الكلام يصل إلى زرارة وبعد ذلك يصل إلى خواص الشيعة حتى يعرفوا القصة لماذا وقعت، مثلما حدث مع جابر، الذي حدث مع جابر بن يزيد الجعفي، إلى مدة زمنية بعد أن انتهت حرارة الحديث الإمام أرسل هذه الرسالة إلى زرارة - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُرَّارَةَ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَام: إِقْرَأْ مِنِّي عَلَى وَالِدِكَ السَّلَام - سَلِّمْ لِي عَلَى أَبِيكَ زُرَّارَةَ - وَقُلْ لَهُ إِنِّي إِنَّمَا أَعْيَبُكَ دِفَاعاً مِنِّي عَنْكَ فَإِنَّ النَّاسَ وَالْعَدُوَّ - فَإِنَّ النَّاسَ وَالْعَدُوَّ، الناس في ذلك إشارة حتى إلى الشيعة، لأنه كان من الشيعة من يؤذي زرارة كما كان من الشيعة ومن كبار الشيعة من يؤذي المفضل - فَإِنَّ النَّاسَ وَالْعَدُوَّ يُسَارِعُونَ - الناس هنا يُقصد منها بعض الشيعة وعموم الناس الذين لا هم مع أهل البيت ولا مع أعدائهم يعني لم يصدر منهم عداً واضح، أما العدو واضح من هو العدو، العدو السُلطة ووعاظ السلاطين ومحدثوا السُلطة وفقهاء السُلطة - إِقْرَأْ مِنِّي عَلَى وَالِدِكَ السَّلَام وَقُلْ لَهُ إِنِّي إِنَّمَا أَعْيَبُكَ دِفَاعاً مِنِّي عَنْكَ فَإِنَّ النَّاسَ وَالْعَدُوَّ يُسَارِعُونَ إِلَى كُلِّ مَنْ قَرَّبَنَاهُ وَحَمَدْنَا مَكَانَهُ - أي واحد نحن نَحْمَدُهُ ونُقَرِّبُهُ الناس والأعداء يسارعون لأي شيء؟ يُسَارِعُونَ - لِإِدْخَالِ الْأَذَى فِي مَنْ نُحِبُّهُ وَنُقَرِّبُهُ وَيَرْمُونَهُ - وَيَتَّهَمُونَهُ - وَيَرْمُونَهُ لِمَحَبَّتِنَا لَهُ وَقُرْبِهِ وَدُنُوهِ مِنَّا وَيَرُونَ إِدْخَالَ الْأَذَى عَلَيْهِ وَقَتْلَهُ وَيَحْمَدُونَ كُلَّ مَنْ عِبْنَاهُ - الذي نُعِيبُهُ الناس نَحْمَدُهُ، القصة هي القصة، الواقع هو الواقع، من بأيديهم السُلطة، السُلطة السياسية، السُلطة المالية، السُلطة الدينية، دائماً في مواجهة أولياء أهل البيت، هذا على طول الخط - وَيَحْمَدُونَ كُلَّ مَنْ عِبْنَاهُ نَحْنُ وَإِنْ نَحْمَدُ أَمْرَهُ - حتى وإن كنا نَحْمَدُ أَمْرَهُ فَهُمْ يَعْيَبُونَهُ - فَإِنَّمَا أَعْيَبُكَ يَا زُرَّارَةَ لِأَنَّكَ رَجُلٌ اِشْتَهَرَتْ بِنَا وَلِمَيْلِكَ إِلَيْنَا وَأَنْتَ فِي ذَلِكَ مَذْمُومٌ عِنْدَ النَّاسِ غَيْرِ مَحْمُودٍ الْأَثَرُ لِمَوَدَّتِكَ لَنَا وَبِمَيْلِكَ إِلَيْنَا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْيَبُكَ لِيَحْمَدُوا أَمْرَكَ فِي الدِّينِ بِعَيْبِكَ وَنَقْصِكَ - إذا أنا عَيْبْتُكَ فَإِنَّ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ، لو كررنا في حديث المخالفين كما كرر الآخرون لصرنا من أفضل الناس! هي هذه القضية، القضية هي هي، حتى في الوسط الشيعي، أنا أتحدث عن الوسط الشيعي،

مشكلة زرارة لم تكن فقط مع الظالمين، حتى في الوسط الشيعي، ولذلك الإمام يُفترق بين الناس والعدو، خصوصاً وأنَّ في رواياتهم الأئمة يقولون: (الناس شيعتنا والنسناس أعداؤنا) ومُصطلح الناس يُستعمل بشكلٍ خاص في بعض الموارد في شيعتهم مثل هذا المورد فالناس شيعتهم والنسناس أعداؤهم، هكذا هم يقولون لستُ أنا الذي أقول - وَأَنْتَ فِي ذَلِكَ مَذْمُومٌ عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مَحْمُودٍ الْأَثَرُ لِمَوَدَّتِكَ لَنَا وَبِمِيلِكَ إِلَيْنَا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْيَبَكَ لِيَحْمَدُوا أَمْرَكَ فِي الدِّينِ - حتى يُقال عنك بأنك كذا وكذا لك درجات في الدين - بِعَيْبِكَ وَنَقْصِكَ - حينما أعيبك وأنقصك - وَيَكُونُ بِذَلِكَ مِنَّا دَافِعٌ شَرِّهِمْ عَنْكَ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ

سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا﴾ قَالَ هَذَا التَّنْزِيلُ - الإمام حتى في هذه الرسالة قال هذا التنزيل، ماذا يقصد هذا التنزيل؟ صفة صالحة، يأخذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا، لأنَّ الموجود في المصحف لا تُوجد كلمة صالحة، على أيِّ حال - وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ - لأنَّ الآية إذا قالت: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ إِذَا يَأْخُذُ السَّفِينَةَ الصَّالِحَةَ وَالْمَعِيَةَ، بينما الخضر حين أعاب السفينة الملك ما أخذها، لكن لو كانت الآية كما هي موجودة الآن ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ كان المفروض هذا الملك يأخذ حتى السفينة المُعَابَةَ، لكن الإمام قال الآية هكذا نزلت: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا﴾ - هذا التنزيل - قَالَ هَذَا التَّنْزِيلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ صَالِحَةٍ

- يعني كلمة صالحة موجودة - لا والله ما عابها - ما عابها الخضر - إِلَّا لِكِي تَسْلَمَ مِنَ الْمَلِكِ وَلَا تَعْطُبَ عَلَى يَدَيْهِ وَلَقَدْ كَانَتْ صَالِحَةً لَيْسَ لِلْعَيْبِ مِنْهَا مَسَاحٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فَافْهَمِ الْمَثَلُ - إِفْهَمِ الْمَثَلُ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَإِنَّكَ وَاللَّهِ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَحَبُّ أَصْحَابِ أَبِي حَيًّا وَمَيِّتًا، فَإِنَّكَ وَاللَّهِ - يا زُرَّارَةَ - أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَحَبُّ أَصْحَابِ أَبِي حَيًّا وَمَيِّتًا - يعني في حياة أبي وفي موته أنت أحبُّ أصحابِ أبي إليَّ - فَإِنَّكَ يَا زُرَّارَةَ أَفْضَلُ سَفِينِ ذَلِكَ الْبَحْرِ الْقُمْقَامِ الرَّاحِرِ - يُشير إلى الإمام الباقر، باعتبار جعل مقارنة فيما بين زرارة وما بين السفينة التي عابها الخضر، يعني فأنت يا زرارة بين تلك السفن أفضل السفن - فَإِنَّكَ أَفْضَلُ سَفِينِ ذَلِكَ الْبَحْرِ الْقُمْقَامِ الرَّاحِرِ وَإِنَّ مِنْ وَرَائِكَ مَلِكًا ظَلُومًا غَضُوبًا يَرْقُبُ غُبُورَ كُلِّ سَفِينَةٍ

لكانت كافيةً في بيانِ قانونِ المكر، لكنني أردتُ أن أُبيِّنَ لمن يُتابعني بأنَّ منهجَ لحنِ القولِ يحتاج إلى موسوعية في الحديث، راجعوا الحلقة التي تحدّثتُ فيها عن أهمِّ مفرداتِ منهجِ لحنِ القول، من أهمِّ هذه المفردات هو معرفة القوانين من خلال دراسة السيرة المعصومة، ومن أهمِّ هذه المفردات الموسوعية في الحديث، في حديثهم، تلاحظون هذه العناوين التي تحدّثتُ عنها في الحلقة الماضية وفي هذه الحلقة ومثلها أضعافها وأضعافُ أضعافها في حديثِ أهل البيت، لكن الوقت لا يكفي، لا أستطيع أن أتناولَ كُلَّ المطالب، من خلالِ هذه الأمثلة، من خلالِ هذه العناوين والمصاديق والمعطيات المتنوعة أعتقد أنَّ قانونَ المكر باتَ واضحاً، فحينما تواجهنا أحاديث تمدح المختار وأحاديث تدمم المختار حينئذٍ تكون الصورة واضحة أننا بتطبيق قانونِ المكر تتجلى لنا الحقيقة، لذلك في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى في حلقة يوم غد سأتناول ما جاء من مدحٍ ومن قدحٍ في شخصيّة المختار رضوان الله تعالى عليه، ولكنني أقول لمن يُتابعني: تذكروا هذه الحقائق، هذه الحقائق التي مرّت في الحلقة السابقة وهذه الحلقة تذكروها حينما نتناول ما جاء من مدحٍ أو قدحٍ في شخصيّة المختار.

وقتُ البرنامج قاربَ على الانتهاء، ختامُ البرنامج نذهب إلى زيارة سيّد الشهداء على طريقة خدّمة الحسين، ملاً باسم والفاصل الأخير من البرنامج..

ألقاكم غداً إن شاء الله تعالى على مودّة وولايةٍ ومحبةٍ إمام زماننا الحجة بن الحسن صلواتُ الله وسلامه عليه.

سَلَامٌ عَلَى نَحْرِكَ الدَّائِمِي يَا حُسَيْنٍ...

في أمانِ الله..

* برنامج " الثائر الحسيني الوفي المختار الثقفي " متوفّر بالفيديو والأوديو على موقع زهرايون

www.zahraun.com